

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه - "لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ .." وحديثه: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحَسَّنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ .."

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:
فلا زلنا نتحدث عن كثرة طرق الخير، وذلك من خلال ما أورده الإمام الترمذى -رحمه الله- في هذا الكتاب المبارك رياض الصالحين، وكان آخر ما تحدثنا عنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه -أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهَرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تَؤْذِي الْمُسْلِمِينَ))^(١) رواه مسلم، وفي رواية: ((مَرَ رَجُلٌ بِغَصْنٍ شَجَرَةً عَلَى ظَهَرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْهِيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَؤْذِيهِمْ، فَلَدُخُلُّ الْجَنَّةِ))^(٢).

وفي رواية لهما -يعنى للبخاري ومسلم-: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غَصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهَ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ))^(٣).

فقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا))، فهذا بمعنى السببية، يعني: بسبب شجرة قطعها، يعني: ما دخل الجنة بقيام الليل، ولا بصيام النهار، ولا بكثرة بذل وإنفاق ونحو ذلك، إنما هو بعمل يسير، وكما رأيتم في هذه الروايات: بغضن شجرة، غصن شوك على الطريق، فأخره، فكيف بمن دفع عن المسلمين ما هو أعظم من غصن الشجرة؟!، كيف بمن قدم للمسلمين شيئاً ينفعهم ويرفعهم ويبيقى أثره بعد موته؟!، فأين هذا من غصن شجرة؟.

فهذا كله يؤكد هذا الأصل الكبير، وهو أن طرق الخير كثيرة جداً، وليس لأحد عذر في القعود عن طاعة الله -عز وجل-، كثير من الناس يكسل، ويغلب عليه حال البطالين من ترك العمل بطاعة الله -عز وجل-، لربما يعتذر الإنسان بأنه ليس عنده مال فيتصدق به، فيقال لمثل هذا: تلك المرأة التي قسمت التمرة بين ابنتيها دخلت بذلك الجنة.

وقد يقول الإنسان: ليس عندي علم حتى أبلغ ذلك للناس، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((بلغوا عنى ولو آية))^(٤).

^١- أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، (٢٠٢١/٤) رقم (١٩١٤).

^٢- المصدر نفسه.

^٣- أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر (١٣٢/١)، رقم: (٦٥٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (٢٠٢١/٤)، رقم: (١٩١٤).

^٤- أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل، (١٦٨/٤) رقم: (٣٤٦١).

ويكفي في ذلك كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- أن كف الأذى عن الناس صدقة^(٥)، يكف الإنسان شره عن الآخرين، اليوم في مشكلة مع زميله في العمل، وغداً مشكلة مع مديره، وبعد غد مشكلة مع إمام المسجد، والذي بعده مشكلة مع الجار، ويوم مع قريب من أقاربه، فيعرف الإنسان بالشر، فيتحاشاه الناس من أجل ذلك، فكما سبق في بعض الأحاديث التي أوردناها في بعض الليالي الماضية أن الإنسان إذا كان لا يستطيع أن يبذل، وأن يعمل في الخير، وأن يتقرب إلى الله -عز وجل- بألوان القربات فإنه يكف شره عن الناس. كما قال رجل: يا رسول الله أرأيت إن ضفت عن بعض العمل؟ قال: ((تکف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك))^(٦).

فالملخص أن الإنسان لا يعجز عن تحصيل الثواب، ولو كان ذلك في أقل الأعمال، لأن يرشد إنساناً ما لكي يعرف الطريق، ويعينه على حمل متابعه، والابتسامة، والكلمة الطيبة صدقة، والتسبيح والتحميد والتهليل كل ذلك من الصدقات، فمن الذي يعجز عنه؟، والله يقول: **﴿فِإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوْا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾** [النساء: ١٠٣]. فلا يحتاج منك إلى نوع من التهيؤ حتى تقول: أنا أعجز عن قيام الليل مثلاً لأنني لا أنام إلا متأخراً، الذكر وأنت في كل مكان، وكل ذلك من الصدقات، ولكن القضية ليست أن هذه الشريعة تضيق عن الأعمال التي تصلح لكل أحد وإنما نحن ننعد عن كثير من العمل إخلاصاً إلى الراحة، وتسويفاً، ولربما زين لنا الشيطان ذلك بطرق متعددة، فالإنسان ينبغي أن يجد ويجتهد.

وهذا حديث آخر أيضاً في هذا المعنى نفسه وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((من توضأ فأحسن الوضوء...))^(٧) يعني: جاء بواجبات الوضوء، وبسننه ومستحباته لم ينقص من ذلك شيء، ((ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت))، استمع: يعني ألقى سمعه، وأنصت: بمعنى أنه لم ينصرف بذهنه، فيكون عنده شرود بما يقوله الخطيب، وإنما يكون مذعنًا منصتاً له يركز معه ((غفر له ما بينه وبين الجمعة وزiyاده ثلاثة أيام))، بمعنى: أنه يغفر له إلى الجمعة القادمة، إلى وقت الخطبة، فهذه سبعة أيام كاملة، وزيادة ثلاثة أيام من بعد صلاة الجمعة، وهو عمل لا يحتاج إلى جهد كبير، توضأ فأحسن الوضوء، ثم جاء إلى الجمعة فأنصت، هذا يحتاج إلى كبير جهد؟ أبداً، غفر له إلى الجمعة القادمة وزيادة ثلاثة أيام.

وهذا خرجه بعض أهل العلم بناء على أن الحسنة عشر أمثالها فقال: لأن الحسنة عشر أمثالها، فهذا صار في عشرة أيام في المغفرة مما يستقبله الإنسان، أضف إلى ذلك أن الجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهما ما

^٥- عن أبي ذر رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: ((الإيمان بالله والجهاد في سبيله)) قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: ((أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً)) قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: ((تعين صانعاً أو تصنع لأخرق)) قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضفت عن بعض العمل؟ قال: ((تکف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك)) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٩/١)، رقم: (٨٤).

^٦- أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٩/١)، رقم: (٨٤).

^٧- أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة، (٥٨٨/٢)، رقم (٨٥٧).

اجتبت الكبائر، والصلوة إلى الصلاة مكفرات ما اجتبت الكبائر، ورمضان إلى رمضان كفارات ما اجتببت الكبائر، والسيئة بسيئة واحدة، وإذا هم بالسيئة لم تكتب، وإذا هم بالحسنة كتب حسنة وإن لم يعملاها، وإذا عملها صارت عشر إلى سبعين ضعف، وإذا توضاً خرجت الخطايا من تحت أظفاره، مع هذه المغفرة وهذه الفرص المتكررة في اليوم والليلة كل ذلك ومع هذا لا يهلك على الله إلا هالك.

قال: ((ومن مس الحصى فقد لغا)) رواه مسلم، لا يختص ذلك بالحصى، الرجل يعبث بثوبه، يعبث ب ساعته، يعبث بجواله، يعبث بمسحة أو بغير ذلك، المقصود أنه ينشغل عن الخطبة، فقد لغا ومن لغا لا جمعة له، وليس معنى ذلك أنه يطالب بالإعادة، فإنها تجزئه، ولا يطالب بالإعادة أو بالقضاء، ولكنه لا يكتب له أجر جمعة، فرق بين الإجزاء وبين أن يكتب للإنسان الأجر أو أن يقبل منه هذا العمل.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: ((إن العبد ليصلِّي الصلاة ما يُكتَب له منها إِلَّا عشْرُهَا، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، رباعها، ثلثها، نصفها)).^(٨)

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة التي نصليها أن المصلي لا يكتب له منها إلا عشرها، إلا نصفها، إلا رباعها، إلا ما عقل منها، بقدر ما عقل، فالإنسان قد يخرج من صلاة الفريضة أو غير الفريضة ولا يكتب له شيء، إلا أنه تسقط عنه المطالبة فقط، ولذلك تجد بين الرجلين في الصلاة كما بين السماء والأرض، هذا صلاته قد توصله أعلى المراتب عند الله -عز وجل-، وهذا صلاته تُسقط عنه المطالبة فقط، ولا يؤجر، فالأجر على قدر ما يحضر من قلبه في هذه الصلاة، ويعقل فيها.

فهذه أمور وطرائق للخير كثيرة جداً، أسأل الله -عز وجل- أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.

^٨- أخرجه أحمد في المسند، ط الرسالة (١٨٩٤) رقم (١٨٨٩) وصححه شعيب الأرنؤوط.